المحاضرة السابعة/14/4/2020
فلسفة عربية سنة الثالثة
د. رائده الدالي
فلسفة الموجود عند ابن سينا
الشفاء الآليات.

المقالة الأولى
الفصل الأول
في ابتداء طلب موضوع الفلسفة الأولى لتبين انيته في العلوم

بحسب عنوان المقالة أراد ابن سينا أن يبين أن للفلسفة موضوع خاص بها مستقل عن باقي العلوم أولاً، وأن يبين موقع علم الفلسفة بين العلوم ثانياً. (انيته تعني وجوده).
السؤال الأول كيف بيّن ابن سينا موضوع الفلسفة؟
بدأ ابن سينا بتقسيم العلوم الفلسفية إلى علوم نظرية، وعلوم عملية:
العلوم النظرية: يطلب فيها استكمال القوة النظرية من النفس بحصول العقل الفعل. والغاية من الحكمة النظرية حصول اعتقاد بصرف النظر عن العمل.(العلم فحسب).والحكمة النظرية تختص بالعقل النظري من النفس والذي كماله أن يخرج من القوة إلى الفعل.
العلوم العملية: ويطلب فيها استكمال العقل العملي من النفس من أجل حصول ملكة العدالة(سيطرة النفس الناطقة على القوى الشهوية والغضبية. وغاية العلم العملي أن يستكمل العلم النظري بها بمعرفة ما يجب أن يكون(افعل او لا تفعل).
النتيجة: تنقسم العلوم إلى علوم نظرية وعلوم عملية. وهذا أول تمايز في العلوم.
العلوم العملية وهي:
الحكمة المدنية: أو علم السياسة لتنظم العلاقات بين الافراد في الدولة والمشاركة في المجتمع والتعاون على بقاء نوع الانسان.
الحكمة المنزلية: تنظيم علاقات الأفراد والمشاركة على مستوى الأسرة بما يضمن مصالح الأسرة.
الحكمة الخلقية: أو علم الأخلاق: لتعلم الفضائل وكيفية اقتنائها، والتخلص من الرذائل بتطهير النفس.
والغاية القصوى هي بلوغ الكمال و تحقيق السعادة الإنسانية.
العلوم النظرية ثلاثة أقسام وهي: العلوم الطبيعية، والعلوم التعليمية، والعلوم الالهية.
ولكي يكشف ابن سينا عن موضوع الفلسفة ما هو؟ قام بالكشف أولاً عن موضوع كل علم من العلوم النظرية وهي:
العلوم الطبيعية: موضوعها الموجودات المخالطة المادة في الواقع والتصور.كالأجسام من جهة ما هي متحركة وساكنة. فالجسم المركب من مادة وصورة، قد يكون جسم فلكي أو جسم عنصري، صورة مائية، أو صورة هوائية، هذا الجسم بعينه هو موضوع العلم الطبيعي وليس مطلق الجسم.
النتيجة: موضوع العلم الطبيعي هو الجسم من حيث هو مادة معينة في الخارج، أو في الذهن وليس الجسم من حيث هو موجود.
العلوم التعليمية: منها ما هو مادي في الخارج ومجرد في الذهن وهو الكم المتصل، والكم المنفصل.
الكم المتصل(المقدار) مادي في الخارج مجرد في الذهن، وهو موضوع علم الهندسة وعلم الهيئة. علم الهندسة وعلم الهيئة يبحث في الموجودات من حيث هي مقادير معينة، وذات أوضاع معينة، ودوائر وأقواس، وتربيع ،وتثليث وغيرها.ولا تبحث في المقدار من حيث هو موجود.
الكم المنفصل: (العدد)وهو موضوع الحساب. العدد بما هو متلبس بالمادة، جسم، جسمان، خمسة أحصنة، أو ما يعرض على المجرد :عقل واحد عشرة عقول..) وليس العدد بما هو موجود. وكذلك فإنّ النغمة التي هي موضوع علم الموسيقى، من حيث أنها قابلة للتأليف أي (العدد) تدخل في علم الحساب. النغمة من حيث هي صوت يبحث عنها في الطبيعيات، ومن حيث هي ذو كم أي ذو عدد تبحث في الحساب.
النتيجة: العلوم التعاليمية موضوعها الكم المنفصل والكم المتصل.
الكم المتصل وهو(المقدار) موضوع علم الهندسة وموضوع علم الهيئة.
الكم المنفصل وهو(العدد) موضوع علم الحساب وموضوع علم الموسيقى.
هذه العلوم موضوعاتها مادية في الخارج، ومجردة في الذهن.
العلوم الالهية:

تبحث عن الامور المفارقة للمادة بالقوام والحد. (العيان والأذهان). أي أن موضوع العلم الالهي هو الموجود المجرد عن المادة سواء أكان هذا الموجود واجب أو ممكن. أي(مطلق الوجود).
المجردات التي تشمل الواجب، والعقول والنفوس،(المباديء) أو المفاهيم المجردة من المادة التي تعرض على المحسوسات مثل مفاهيم الواحد والكثير، العلة والمعلول، القديم والحادث، القوة والفعل، الممكن والواجب.
فالالهيات تنقسم إلى:
الأمور العامة: وهي التي يتصف بها الموجود بما هو موجود ولا يشترط أن يكون له ماهية معينة فكل موجود إما علة أو معلول، إما واجب أو ممكن....وتسمى الأحكام العامة للوجود، وتسمى الالهيات بالمعنى الأعم.
معرفة الله: تبحث في وجود الله ، وصفاته، وأفعاله وتوحيده، وتسمى الالهيات بالمعنى الأخص.
ثم يقول ابن سينا : وقد سمعت أن الالهي هو الذي يبحث فيه عن الأسباب الأولى للوجود الطبيعي والتعليمي وما يتعلق بهما، وعن مسبب الأسباب ومبدأ المباديء وهو الإله تعالى جده...ولم يتبين لك أن الموضوع للعلم الالهي ما هو بالحقيقة إلا إشارة جرت في كتاب البرهان من المنطق إن تذكرتها(الفصل 7، المقالة 8، في بيان اشتراك العلوم). وقد تبين أن لكل علم موضوع، وله مطالب، وله مباديء مسلمة تؤلف منها البراهين. لكن لم يتبين ما هو موضوع الفلسفة؟.

ويراد بهذه الإشارة أنه لابد من موضوع أعم تندرج تحته كل العلوم، أو لابد من جهة مشتركة تشترك بها موضوعات هذه العلوم، ولا يكون مثبت في علم آخر وهذه الجهة هي الموجود بما هو موجود(أي من حيث هو موجود). وهذا يعني أن للموجود نوعين من الأحوال، مرة من حيث هو موجود، وأخرى ليس من حيث هو موجود، وإنما من حيث هو موجود خاص.
مثال: الجسم وهو موضوع العلم الطبيعي يبحث فيه ليس من حيث هو موجود بل من حيث هو موجود خاص، أي جسم له مادة معينة ثم يبحث في أعراضه الذاتية من حركة وسكون... لكننا نبحث عنه تارة من حيث هو موجود(مطلق الجسم).أي أن هنالك حيثية يشترك بها موضوع العلم الطبيعي مع غيره من العلوم هذه الحيثية هي أنه موجود، فاذا بحثنا عن احوال الجسم باعتبار الحيثية المشتركة بينه وبين كل موجود يكون هذا البحث بحثاً فلسفياً فنبحث في أحوال الجسم بما هو موجود هل هو حادث أم قديم؟، هل هو ممكن أم واجب؟ هل هو علة أم معلول؟....
ثم يقول: كنت تسمع تارة أن الحكمة هي أفضل علم بأفضل معلوم.(ويقصد أن شرف العلم من شرف موضوعه) وأخرى أن الحكمة هي المعرفة التي هي أصح معرفة وأتقنها(يقصد المنهج وهو المنهج العقلي البرهاني الذي يفيد اليقين)، وأخرى أنها العلم بالأسباب الأولى للكل(ويقصد لكل الموجودات من العقول والواجب الوجود. أي الأسباب الأولى البعيدة).
وكنت لا تعرف ما هذه الفلسفة الأولى وما هذه الحكمة، وهل الحدود والصفات الثلاثة لصناعة واحدة، أو لصناعات مختلفة كل واحدة منها تسمى حكمة. ثم يبين ابن سينا أن هذا العلم الذي يبحث فيه هو الفلسفة الأولى وأنه الحكمة المطلقة، وأن الصفات الثلاث للحكمة هي صفات لصناعة واحدة وهي صناعة الفلسفة الأولى المستقلة عن الكل والتي لا تفتقر في مبادئها إلى غيرها، في حين أن موضوعات العلوم كلها مثبتة في هذا العلم الأعلى).
فالعلم الطبيعي يبحث في الجسم من حيث هو متحرك وساكن، لكنه لا يثبت لنا وجود الجسم، فاثبات وجود الجسم يجب أن يكون في علم آخر أعلى. فكل علم له موضوع مسلم به، هذا الموضوع المسلم به تثبته الفلسفة أولاً.
أما الموجود الذي هو موضوع علم الفلسفة غير مثبت في أي علم من العلوم.
إذاً كيف نستدل على موضوع الفلسفة؟
يقول ابن سينا لنبحث عن الموضوع لهذا العلم، هل هو إنيّة الله تعالى؟ أم غيره؟
ثم نفى ابن سينا أن يكون الله موضوع هذا العلم، وذلك لأن الموضوع في كل علم هو أمر مسلم به، ويبحث عن أحواله.
الحجة:
الله تعالى ليس بمسلم بهذا العلم
وموضوع كل علم مسلم فيه
إذاً: الله تعالى جده ليس موضوعاً لهذا العلم
ثم يثبت أنه لا يجوز أن يكون الله تعالى مطلوب في هذه العلوم(لأن لكل علم موضوع يبحث عن أحواله). ولا واحد منها يبحث في اثبات الله.
ثم يثبت أنه لا يجوز أن يكون غير مطلوب في علم آخر، فيكون غير مطلوب بأي علم. إذاً إمّا أنه بيّن، وإمّا ميؤس منه. هو ليس بينّ بدليل أنه مطلوب، وليس ميؤس منه لأن الميؤس كيف يصح تسليم وجوده؟.
ويخلص إلى النتيجة: أن الله هو المطلوب في علم الفلسفة، وليس هو الموضوع. وإذا كان البحث عن وجوده في هذا العلم لا يجوز أن يكون موضوع هذا العلم. لماذا؟
لأنه لا ينبغي لأي علم اثبات موضوعه، وإنما يكون الموضوع مسلماً به، ثم يبحث عن أحواله.

وإذا كان الله مطلوبا في علم الفلسفة، فإننا نبحث عنه بجهتين، الأولى من جهة وجوده، والثانية من جهة صفاته. وهذا العلم يبحث في المفارقات للمادة أصلاً(أي الموجودات المجردة).

ثم يسأل ابن سينا إن لم يكن الله موضوع هذا العلم، فهل الموضوع هو الأسباب القصوى للوجود؟ فينفي أنها الموضوع ويثبت أنها مطلوبة(يعرض الحجج). و المطلوب لا يمكن أن يكون موضوع.

فأسباب الوجود من حيث هي موجودة هي موضوع هذا العلم، لا من حيث أنها أسباب(موجودية العلل وليس عليتها) موضوع العلم الفلسفي لأن الأسباب بما هي موجودة من مصاديق الموجود بما هو موجود.

النتيجة:

هذه المقدمات التي وضعها ابن سينا لم تثبت لنا موضوع هذا العلم، وإنما أشار إلى الأوصاف التي تدلنا على موضوع علم الفلسفة وتثبته وتشخصه وهي:

أنه موضوع يختلف عن موضوع العلم الطبيعي، وموضوع الرياضيات.

أنه موضوع مجرد عن المادة في الخارج وفي الذهن.

أنه موضوع أعمّ من كل المواضيع.

أنه موضوع شريف.

أنه موضوع ليس هو الله تعالى، وليس هو الأسباب القصوى للوجود.

يوجد حيثية عامة بين العلوم لا يبحث فيها في أي علم من العلوم من مثل: اثبات وجود الأشياء، واثبات أنحاء الوجود(علة أم معلول، قديم أم محدث، ممكن أم واجب...،واثبات ماهية الأشياء جوهر أم عرض. هذه الحيثيات لا يبحث عنها في أي علم وهي مشتركة بين العلوم، وتحتاج إلى موضوع يعمّها جميعا.

هذا الموضوع الذي يجمع هذه الصفات ويعم هذه المسائل هو الموجود بما هو موجود.